

معركة الأنشين قائد المعتصم

"دراسة تاريخية تحليلية"

د. هيلة بنت محمد بن علي القصير (*)

• المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ومن والاه...

وبعد،،،

تولى المعتصم الخلافة بعد وفاة المأمون بن الرشيد عام ٢١٨هـ وقد أوصى المأمون أخاه المعتصم بعدة وصايا منها استعمال الأتراك كما يقول ابن قتيبة. وفعلاً استكثر المعتصم من الأتراك حتى زاد عددهم وضائق بهم بغداد عاصمة الدولة العباسية، فعمل على بناء سامراء واتخذها مقراً له ولجندة.

ولم يكن المعتصم هو أول من استقدم الأتراك واستخدمهم في الدولة بل سبقه إلي ذلك المنصور، ثم توسع في استخدامهم بعض الشيء أخوه المأمون إلا أن المعتصم زاد من استخدامهم حتى جعلهم على المناصب القيادية الهامة في الدولة.

ولعل السبب في استخدام المعتصم للأتراك والإكثار منهم يعود إلى رغبته في حفظ التوازن بين العرب والفرس.

كما يعود إلى عدم ثقته بالعرب لوقوفهم مع مؤامرة ابن أخيه العباس بن المأمون وقبلها بالفرس لقتلهم أخيه الأمين.

وقد اعتمد المعتصم على الأتراك اعتماد كبير وخاصة في القيادة

(*) جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بالرياض.

العسكرية. وكان من أشهر القادة الأتراك الذين اعتمد عليهم المعتصم الأفشين الذين عينه قائدًا للقوات التي أرسلها للقضاء على ثورة بابك الخرمي في أنزبيجان التي أقضت مضجع الخلافة العباسية زهاء عشرين عامًا. وقد لجأ في طلبه أكثر من عامين (٢٢٠-٢٢٢هـ) حتى نجح في القضاء عليه وعلى الخرميه.

وقد كافأه المعتصم على نجاحه بمنحه تاجًا وسيفين مرصعين بالجواهر. كما كان له دور رئيسًا في حملة المعتصم على عمورية (٢٢٣هـ).

وقد وثق به المعتصم ثقة كبيرة حتى إنه دفع إليه ابن أخيه العباس بن المأمون مقيّدًا حين عرف وهو في غزوة عمورية بتفاصيل مؤامرة يديرها بعض قادته وعلى رأسهم عجيف بن عنبسه لقتل المعتصم.

إلا أنه على الرغم من المكانة العالية التي تبوأها الأفشين، حتى ذاع صيته وبرز اسمه إلا أنه خان المعتصم وحقد على عامله على خراسان عبدالله بن طاهر بن الحسين فراسل المازيار بن قارن في طبرستان وشجعه، وحرّضه على الثورة. وعندما تحقق المعتصم من ذلك ومن إرساله الأموال إلى أشروسنة عندما كان يحارب الخرمية، وما اتهم به من أمر منكجور (ممثل الأفشين في أنزبيجان) الذي ثار بتحريض منه، تغيرت معاملة المعتصم له، وأحس الأفشين بذلك، وحار في أمره، وشرع يعد العدة للفرار إلى أرمينية ومنها إلى بلاد الخزر وأشروسنة ليستميل قومه على المسلمين إلا أنه أخفق في إنفاذ ما عزم عليه، فقرر أن يؤلم للخليفة وقادته ويدس لهم السم في الطعام، إلا أن أخبار المؤامرة بلغت مسامع المعتصم فبادر إلى استدعائه وحبسه ثم محاكمته.

• غطة البحث:

وقد حاولت في هذا البحث إبراز هذه المحاكمة وتحليلها ومعرفة أبعادها السياسية والعسكرية،

فتناولتها في مقدمة ثلاث مباحث تحدثت في المبحث الأول حول نفوذ الأتراك في عهد المعتصم. وفي الثاني استعرضت مكانة الأفيشين في خلافة المعتصم. أما الثالث فخصصته للحديث عن المحاكمة وأبعادها السياسية والعسكرية، ثم خاتمة فيها أهم النتائج، ثم فهرس المصادر والمراجع

• المبحث الأول: نفوذ الأتراك في عصر المعتصم:

الأتراك قبائل يرجع أصلها إلى ترك بن يافث بن نوح^(١) وهم من الأمم القديمة التي كان لها دور في الحضارات القديمة. أثروا وتأثروا بالشعوب التي جاورتهم أو عاشت تحت سيطرتهم. موطنهم الاصلي " آسيا الصغرى" وهي تشمل المناطق الخصبة الواقعة بين نهري جيحون وسيحون، أو ما يعرف عند المسلمين باسم ما وراء النهر^(٢). تعددت دياناتهم قبل دخولهم الإسلام^(٣). كان الأتراك يتمتعون ببعض الخصال منها الشجاعة والفروسية والإقدام والرمي بالنشاب وركوب الخيل^(٤)... وغيرها.

(١) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ج١، ص ٢٠١.

(٢) الاصطخري: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص ١٦١.

(٣) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، أخبار الزمان ومن أباده الحدثن، دار الأندلس، بيروت، ط٢، (د.ت)، ص ٧٥؛ ابن الفقه الهمداني: أبوبكر أحمد بن محمد، مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٢٩٧.

(٤) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ج٣، ص ٢١٧-٢١٩.

دخل الأتراك الإسلام، وحسن إسلام الكثير منهم أثناء الفتوحات الإسلامية في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، عندما تمكن قتيبة بن مسلم الباهلي^(١) من فتح الكثير من مدن بلاد ما وراء النهر، كبخارى وسمرقند وخوارزم^(٢). كما فتح يزيد بن المهلب^(٣) جرجان سنة ٩٨هـ^(٤). ثم واصل نصر بن سيار^(٥) سنة ١٣٠هـ الفتوحات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر حتى تم تثبيت أقدام المسلمين هناك. وقد دخل الأتراك الإسلام على المذهب السني وتمسكوا به ولم يقبلوا المذاهب الأخرى. ولعل ذلك يعود إلى

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي، هو قتيبة بن أبي صالح مسلم بن عمرو الباهلي، أمير خراسان زمن عبد الملك بن مروان، أقام بها ثلاثة عشر سنة فتح العديد من المدن خوارزم وسمرقند وبخارى.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج٤، ص ٨٦-٩١.

(٢) خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق اكرام ضياء العمري، دار طبية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥، ص ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٠٦.

(٣) يزيد بن المهلب: هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، استخلفه والده على خراسان عند وفاته، إلا أن عبد الملك عزله، وقد فتح جرجان وطبرستان، عينه سليمان على العراق. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص ٢٧٨-٣٠٩.

(٤) ابن اعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ج٧، ص ٢٥٧.

(٥) نصر بن سيار: هو نصر بن سيار بن رافع بن ليث ولاء هشام بن عبد الملك خراسان، وبقي والياً عليها عشر سنين، تصدى لأبي مسلم الخراساني إلا أنه لم يقض عليه، توفي عام ١٣١هـ، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ١٧٢.

أنهم لا يعرفون الجدل والنقاش في الدين، وإلى روحهم العسكرية التي تقوم على الطاعة والنظام والانضباط^(١).

فعندما أسلموا وحسن إسلامهم تحمسوا للدين فأصبحوا حماة للإسلام ومجاهدين في سبيل الله انضم الكثير منهم إلى جيوش الخلافة الإسلامية أثناء فتوحاتها في بلاد الترك. فهذا نصر بن سيار يضم في جيشه أثناء فتحه بلاد الشاش عشرين ألفاً^(٢) من أهل بخارى وسمرقند وكش^(٣) وأشروسنة^(٤).

كما استعان بهم خلفاء بني أمية في القضاء على بعض العصاة الخارجين على الدولة^(٥)، والعمل في بلاط الخلفاء وحراسة قصورهم.

كذلك الحال في العصر العباسي، فقد اعتمد خلفاء بني العباس على الأتراك في بعض أعمالهم فالمنصور اعتمد على حمادا التركي وجعله من

(١) انظر الجاحظ، الرسائل، ج٣، ص ٢١٧-٢٢٠.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص ١٧٤.

(٣) كش: مدينة جبلية كثيرة الأهل عامرة بالناس، فيها فواكه كثيرة، ولها ربحان وعليها سور، وفيها نهران كبيران (الأدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد (د.ت)، ج١، ص ٥٠٠-٥٠١.

(٤) أشروسنة: هي بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سحيون وسمرقند. شرقها إقليم فرغانة وغربها إقليم سمرقند، وشمالها إقليم الشاس، وجنوبها إقليم الصغانيان وكش، وعاصمتها الذي يقيم بها حاكمها هي بنجكت (الاصطخري، المسالك والممالك)، ص ١٦١-١٦٦؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٢٣٤.

(٥) ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، ط ٤، ١٩٨١م/١٤٠١هـ، ج ٩، ص ٢٨.

خاصته^(١)، كما ولاه الحجابة بعد أن توطدت دعائم دولته، ثم قلّده تعديل السواد^(٢).

والثعالبي^(٣) يرى أن المنصور أول من اتخذ الأتراك.

كما كان للأتراك دورًا كبيرًا في القضاء على الخوارج عام ١٦٠هـ^(٤) في عهد المهدي. أما الرشيد فقد توسع في استخدامهم وقلّدهم بعض المناصب الإدارية^(٥)، كما استخدمهم في الجيش والعمل في القصور^(٦). واستقدم الكثير من الجوّاري من اشروسنة^(٧).

وفي عهد المأمون دخل الكثير من زعمائهم في خدمته، ودعى زعمائهم إلى بغداد، ومنحهم الصلات، وأشرك فرسانهم في حرس الخلافة^(٨). كما تولى بعضهم مناصب إدارية منهم كاوس والد الافشين الذي ملكه المأمون

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص ١٠٣.

(٢) الجهشيارى: أبو عبد الله محمد بن عبّوس، كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ص ١٣٤.

(٣) الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، لطائف المعارف، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ص ١٥١.

(٤) خليفة بن خياط: تاريخه، ص ٤٤٣.

(٥) الجهشيارى: الوزراء والكتاب، ص ٢٦٥.

(٦) عبد العزيز اللملم: نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، (د. ن) ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج ١، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٧) حسن أحمد محمود: الإسلام والحضارة في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت) ص ١٣٨.

(٨) عبد العزيز اللملم: نفوذ الأتراك، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٠.

على بلاد أشروسنة بعد إسلامه^(١). كما كان يرسل الدعاة إلى بلاد الترك لدعوتهم إلى الإسلام ويرسل معهم فارضًا يسجل أسماء الجند ويفرض لهم العطاء ويسهل قدمهم إلى بغداد^(٢). كما أوصى أخيه المعتصم باستخدام الأتراك وجلبهم من مناطقهم^(٣).

أما بالنسبة للمعتصم فإنه أكثر خلفاء بني العباس استخدامًا للأتراك، فقد توسع في استقدامهم من بلادهم فقد استقدم عام ٢٢٠هـ عدد كبير من الأتراك من بخارى وسمرقند وفرغانة وأشروسنة، وبذل فيهم الأموال حتى بلغ عددهم ثمانية عشر ألفاً^(٤). ثم زاد عددهم بعد ذلك حتى بلغوا سبعين ألفاً^(٥). وقد روى اليعقوبي^(٦) أن المعتصم عندما تولى الخلافة " ألح في طلبهم واشترى من كان في بغداد من رقيق الناس منهم. .. أشناس... وايتاخ.... ووصيف.. وسيما الدمشقي....".

(١) البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي، فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٤١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٠.

(٣) ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف بمصر، ط ٢، (د.ت)، ص ٣٩١.

(٤) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، ج ١، ص ٥٣.

(٥) حسن إبراهيم حسن، أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، ط ٥، (د.ت)، ص ٣١٨.

(٦) أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٧.

وقد حرص المعتصم على حفظ مميزاتهم الجنسية فجلب لهم نساء من جنسهم زوجهن بهم ومنعهم أن يتزوجوا من غيرهن^(١).

ولعل السبب الذي دعا المعتصم إلى الاعتماد على الأتراك يعود إلى:

١- رغبته في تحقيق توازن بين العرب والفرس والحد من النفوذ الفارسي والعربي خاصة بعد المشاكل والفتن والمؤامرات والثورات التي أحدثوها في الدولة مما جعل المعتصم يفكر جدًّا في الاستعانة بقوة أخرى وهي قوة الأتراك، اعتقادًا منه أنهم مجردون من الطموح الذي اتصف به الفرس ومن العصبية التي اتصف بها العرب^(٢).

٢- لعل السبب يعود أيضًا إلى أن المعتصم عندما تولى الخلافة كان له أعداء ومنافسون يرغبون في التصدي له، لذا عمل على الإكثار من الأتراك للحد من خطرهم، فكان لا بد له وهو يرى شبح الخطر يحدق به وبدولته أن يقف سدًا منيعًا أمامه^(٣).

٣- كما الأتراك بالشجاعة والفروسية والجرأة وشدة البأس والإقدام^(٤)، ولكفاءتهم في الحروب كانت سببًا من أسباب اعتماد المعتصم عليهم والركون لهم وتقديهم إلى مراكز القوة والنفوذ في الدولة^(٥)، وذلك لخبرته بهم

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩.

(٢) حسن أحمد محمود ورفيقه، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٣١٧-٣١٨؛

عبد العزيز اللملم، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، ج ١، ص ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) فاروق عمر، الخلافة العباسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد

(د.ت)، ص ٣٥٨.

(٤) الجاحظ ، الرسائل، ج ٣، ص ٢١٩.

(٥) عبد العزيز اللملم، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، ص ٢٤٣-٢٥٨.

وتجربته لشجاعتهم وشدة بأسهم، مما جعل لديه خلفية واضحة عن مقدرتهم ومهاراتهم العسكرية.

٤- وسبب آخر لاستدعاء المعتصم للأتراك وهو أن أمه كانت تركية من الصفد، فدعته العصبية التركية إلى الإكثار منهم^(١).

استكثر المعتصم من الأتراك حتى امتلأت منهم بغداد، فأذوا أهلها وضايقوهم، فشكوا أمرهم إلى المعتصم^(٢)، فخرج بهم من بغداد، وبنى لهم مدينة سامراء^(٣).

وانتقل إليها هو وجنده واتخذها قاعدة له^(٤) فانتقلت بذلك عاصمة الخلافة العباسية من بغداد إلى سامراء، التي عظمت عمارتها وكثر عمرانها^(٥) ونافست بغداد وتفوقت عليها، وانتقل الصانع والتجار، فأثر ذلك على بغداد وأهلها فاشتد كرههم للأتراك خاصة وأن المعتصم مكنهم في الأرض، وخصهم بالنفوذ، وقلدهم قيادة الجيش^(٦).

(١) حسن محمود ورفيقه، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص ٣١٩.

(٢) الآبي: أبو سعد منصور بن حسين، نثر الدر في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغني محفظ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٨٣.

(٣) سامراء: أو سري من رأى، مدينة بين بغداد وتكريت، على شرفي دجله، بناها المعتصم لجنده الأتراك بعد أن اشتكى أهل بغداد من مضايقتهم لهم، وبدأ في بنائها عام ٢٢١هـ. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٩٥.

(٤) ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٧٢.

(٥) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٦) المسعودي: التنبيه والإشراف، المكتبة التجارية، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م، ص ٣٠٧.

وأصبح الأتراك في خلافة المعتصم سنده وعماد جيشه الذي يخوض به الحروب، ويقضي به على الثورات، بعد أن فقد ثقته بالعرب بعد مساندتهم لثورة ابن أخيه العباس بن المأمون^(١) ضده، كما فقد ثقته بالفرس قبل ذلك عندما قتلوا أخاه الأمين.

فلم يعد أمامه سوى الأتراك الذين استعان بهم وقربهم ورفع أقدارهم وكان على رأسهم حيدر بن كاوس الملقب بالأفشين وهو لقب كان يلقب به ملوك أشروسنة^(٢).

• المبحث الثاني: مكانة الأفشين منذ المعتصم:

عندما استخدم المعتصم الأتراك، وصاروا خاصته ورجال دولته، قلدهم قيادة الجيش، وجعل لهم دوراً في سياسته لدولته، ومنهم الأفشين، ذلك القائد الذي سطع نجمه، وبرز اسمه، وعظم شأنه، وذاع صيته، فهو من سلالة ملوك أشروسنة في بلاد تركستان^(٣).

اتصل المعتصم بالأفشين قبل خلافته، وذلك عندما بعثه إلى

(١) هو العباس بن المأمون بن هارون الرشيد، كان قائداً بارزاً في خلافة والده، إلا أن المأمون أثر عليه أخاه المعتصم، قام بمؤامرة ضده عمه المعتصم أثناء فتح عمورية بمساعدة عفيف بن عنبسه وعدد من القواد العرب هدف قتل المعتصم وقادته من الأتراك. اكتشف المعتصم أمره فقبض عليه وسلمه للقائد إيتاخ الذي منعه من الماء حتى مات. (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٧٤-٧٧؛ مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب، تجارب الأمم، (د.ت)، ج٦، ص ٤٩٦.

(٢) الهمداني: أبو الفضل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٩٥٨م، ج١، ص ١٥٣.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص ٥٠٤.

برقه^(١) لتوطيد الأمور فيها، ولقمع ثورة قام بها القبط والعرب في مصر^(٢) سنة ٢١٦هـ^(٣). كما كلفه بتأليف فرقة عسكرية من عرب الدلتا^(٤)، عرفت باسم "المغاربة".

وعندما تولى المعتصم الخلافة كرم الأفشين ورفع من شأنه وعينه قائداً لقواته التي أرسلها للقضاء على ثورة بابك الخرمي^(٥) في أذربيجان^(٦) وجعله عاملاً على أذربيجان وأرمينية والجبل^(٧).

وقد بقي الأفشين أكثر من عامين حتى نجح في القضاء عليها. وقد قدره

(١) برقه: اسم صقع كبير، يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، واسم مدينتها انطاليس وتفسيرها الخمس مدن . (ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٦٢).

(٢) الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب، ولاية مصر، تحقيق رفن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط١، (د.ت)، ج١، ص ١٩٠.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص ٦٢٥.

(٤) الكندي، ولاية مصر، ج١، ص ١٩١.

(٥) ثورة بابك الخرمي: ثورة قام بها بابك الخرمي في خلافة المأمون سنة ٢٠١هـ، بعث لها المأمون عدة جيوش لم يكتب لها النجاح، تفاقم أمرهم في خلافة المعتصم فعقد للافيش سنة ٢٢٠هـ على جيش عظيم فزحف عليه حتى تمكن من هزيمته سنة ٢٢٢هـ. (الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص ٤٦٩؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٣٩).

(٦) الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، ج١، ٥٩٠-٥٩١.

(٧) قدامه بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسنين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، ط١، (د.ت)، ج١، ص ٣٨٠.

المعتصم على ذلك وكافأه بولاية السند بالإضافة إلى أذربيجان وأرمينية ومنحه تاجاً وسيفين^(١). التاج كان من الذهب مرصع بالجواهر واكليل ليس فيه من الجواهر إلا الياقوت الأحمر والزمرد الأخضر قد شبك بالذهب^(٢) ووصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة صلة له وعشرة يفرقها في أهل عسكره، وجعل الشعراء يمدحونه^(٣).

كما أن المعتصم اعتمد على الأفشين كقائد من القواد الذين خرجوا معه لفتح عمورية^(٤). ذلك أنه عندما عزم على الخروج ووصل إلى أرض الروم قسم جيشه إلى فرقتين، بعث الأولى بقيادة الأفشين عن طريق الحدث^(٥) إلى

(١) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري، الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج٥، ص٢٣٤.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٥٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص٢٨٥؛ المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ج٦، ص١١٩.

(٤) عمورية: بلدة في بلاد الروم، سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح "عليه السلام" وغزوة عمورية غزوه انتصر فيها الجيش العباسي على الجيش البيزنطي بقيادة الخليفة المعتصم سنة ٢٢٣هـ، رداً على مهاجمة الامبراطور البيزنطي زبطره أحد الثغور الإسلامية، قام المعتصم باقتحام عمورية وتدميرها. الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص٥٧-٧١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١٧٨-١٧٩.

(٥) الحدث: قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش من الثغور، يقال لها الحمراء، لأن تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٣).

أنقره^(١)، وتولى قياد الأخرى إلى عمورية^(٢). ونجح الأفشين في هزيمة الروم، ثم انضم إلى جيش المعتصم في أنقره، فأقاموا بها أياماً، ثم قسم المعتصم العسكر ثلاثة عساكر: عسكر فيه اشناس في الميسره والمعتصم في القلب والأفشين في الميمنة، وجعل بين كل عسر وعكسر فرسخان، وأمر كل عسكر منهم أن يكون له ميمنة وميسرة^(٣). ثم توجه الجيش بقيادة المعتصم إلى عمورية وتمكنوا من فتحها بعد مقاومة عنيفة.

فنرى أن المعتصم رفع من مكانة الأفشين وأعلى شأنه ومنحه شرف قيادة أحد الجيوش الثلاثة التي توجهت لفتح عمورية، ليس هذا فحسب بل أن المعتصم وثق به ومنحه ثقته الكاملة وذلك عندما اكتشف المعتصم مؤامرة ابن أخيه العباس بن المأمون^(٤) بعد انتصاره في عموريه والتي دبرها بمساعدة عدد من القادة وعلى رأسهم عجيف بن عنبسة^(٥). والذين كانوا ساخطين على المعتصم بسبب تقريبه الأتراك^(٦).

(١) أنقره: بالفتح ثم السكون وكسر القاف ثم راء وهاء، فتحها المعتصم وهو في طريقه لفتح عمورية. (ياقوت، معجم البلدان، ج١، ص ٣٢٢).

(٢) الأزدي: أبو بكر يزيد بن محمد بن أياس، تاريخ الموصل، تحقيق على حبييه، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٦٣.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٧٥-٧٨؛ مسكويه، تجارب الأمم، ج٦، ص ٤٩٦.

(٥) عجيف بن عنبسة: قائد من قواد المعتصم عقد له المعتصم على جيش لمحاربة ثورة الزط عام ٢١٩هـ، تمكن خلالها من هزيمتهم بعد حصارهم لمدة سبعة أشهر، كما أشركه المعتصم في الجيش المتوجه لفتح عمورية إلا أنه دبر مؤامرة لقتل المعتصم فقبض عليه وسلم إلى إيتاخ (انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ١٠، ١١، ٧٦؛ ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ج٣، ص ٢٥٧).

(٦) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٧١.

وكانوا يهدفون من مؤامراتهم قتل المعتصم وقواده الأفشين وإيتاخ وأشناس. فلما اكتشف المعتصم تلك المؤامرة واعترف العباس بن المأمون بتدبيرها قيده، وسلمه للأفشين الذي أبقاه سجيناً لديه ثم منعه من الطعام حتى جاع، ثم قدم له الطعام فأكل وعندما طلب الماء منعه حتى مات عطشاً^(١).

• المبحث الثالث: محاكمة الأفشين:

بعد أن برز اسم الأفشين، وعظم شأنه وذاع صيته بعد ثقة المعتصم به، وقضائه على بابك الخرمي وانتصاره في موقعة عمورية، وتولييه قيادة جيش الخلافة في عهد المعتصم، أثار فيه ذلك نعرته الأعجمية ورأى أنه ليس بأقل من بابك الخرمي والمازيار طموحاً وتعصباً لقوميته وبغضاً للعرب.

كل ذلك جعل الأفشين يمني نفسه بالملك والاستقلال في بلاد أشروسنة يوماً ما، وأول ما عرف ذلك منه كان أثناء محاربته بابك الخرمي لا يأتيه هدية أو مال من قبل الخلافة إلا وجه به إلى إقليم أشروسنة^(٢)، فيمر حملة المال بعبده بن طاهر^(٣) أمير خراسان، فيكتب إلى الخليفة المعتصم بخبره، وفي إحدى المرات أرسل الأفشين مالا كثيراً، فمرت رسله بمدينة نيسابور، فأرسل عبده بن طاهر من قام بتفتيشهم، فوجد المال في أوساطهم، فقال:

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٩٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) عبد الله بن طاهر: هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، كان قائداً للمأمون وولاه على حياة مصر أبيه وكانت تغلي بالفتن والثورات ففضى على الخارجين بها وأصلح أحوالها، ثم ولاه خراسان عام ٢١٤هـ وتعاون مع الخلافة في القضاء على الخارجين عليها، توفي عام ٢٣٠هـ.

الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٨، ص ٦١٠، ٦١٢، ٦٢٢، ج ٩، ص ١٣١.

من أين لكم هذا المال؟ فقالوا للأفسين، فقال كذبتُم، لو أراد أخي الأفسين أن يرسل مثل هذه الهدايا والأموال لكتب إلى يعلمني به لأحرسه له، لأن هذا مال عظيم، وإنما أنتم لصوص، واستولي عبدالله بن طاهر على الأموال، وأعطاهما لجنده، وكتب إلى الأفسين يذكر له ما قاله القوم، وقال أنا أنكر أن تكون وجهت بهذا المال إلى أشروسنة ولم تكتب إلى تعلمني، فإن كان هذا المال ليس لك فقد أعطيته مكان المال الذي يرسله أمير المؤمنين، وإن كان هذا المال لك كما زعموا فإذا جاء المال من عند أمير المؤمنين رددته عليك، وإن يكن غير هذا فأمر المؤمنين أحق بهذا المال، فكتب إليه الأفسين: إن مالي ومال أمير المؤمنين واحد، وسأله إطلاق سراح القوم فأطلقهم، فكان هذا الموقف سبب العداء بينهما، وأخذ عبدالله بن طاهر يترصد به، كما عمل الأفسين على الإيقاع بعبدالله بن طاهر عند الخليفة، ويسعى لعزله وتولي خراسان بدلاً منه^(١).

ودبر الأفسين مؤامرة ليتخلص بها من عبدالله بن طاهر بأن حرض أحد النائرين. من أبناء طبرستان، ويسمى مازيار بن قارن لإعلان العصيان على ابن طاهر وشق عصا الطاعة ومنع الخراج، فيقوم الخليفة حينذاك بتكليف الأفسين بحربه ويكون له مع ذلك ولاية خراسان^(٢).

ولكن عبدالله بن طاهر أسرع بتوجيه جيش كبير إلى طبرستان بقيادة عمه الحسن بن الحسين، وأرسل له الخليفة مدداً كبيراً بقيادة محمد بن إبراهيم والحسن بن قاري الطبري، ولم ينتدب الأفسين لشيء مما كان يتوقعه،

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٦٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٩.

وأحاطت جنود الخلافة بطبرستان من كل جانب، وهزمت جنود مازيار، واستأمن مازيار إلى الحسن بن الحسين، فأمر عبدالله بن طاهر بإرساله مع أخوه وقادته إلى الخليفة المعتصم بسامراء^(١).

وبعد التحقيق مع مازيار تحقق المعتصم من كل ما بلغه من عبدالله بن طاهر عن الأفسين، واطلع على الكتب التي أرسلها أخو الأفسين إلى مازيار، فلما علم الأفسين بذلك أحس بكشف خطته فتحير ماذا يفعل فهداه تكفير لأن يصنع وليمة عظيمة ويدعو لها المعتصم وكبار القواد ويضع السم في الطعام ليموتوا جميعاً فصنع ذلك ولكن أحداً ما لم يأت لأن المعتصم قد اطلع على نواياه الخبيثة فحاول الفرار عن طريق الموصل ويعبر النهر حتى يصير إلى بلاد أرمينية ثم يصير إلى بلاد الخزر ثم يدور في بلاد الترك ويرجع إلى أشروسنة ويستميل الخزر وهم كفار الترك لقتال المسلمين ولكنه فشل في ذلك أيضاً لأن في نفس الوقت الذي عزم فيه على الهرب أمر المعتصم بالقبض عليه^(٢) وسجنه، وأمر بمحاكمته، وتولي محاكمته الوزير محمد بن عبدالملك الزيات، وحضرها القاضي أحمد بن أبي دؤاد وإسحاق بن إبراهيم وجماعة من القواد والأعيان، وكثير من الشهود على رأسهم رجلان من الصفد يدعيان أن الأفسين ضربهما، وهما إمام ومؤذن مسجد^(٣)، ثم بدأت المحاكمة.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٩٤-٩٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٥، ص ٢٥٩.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ١٠٥؛ وكيع: محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، ط ١، ١٣٦٩هـ، ج ٣، ص ٢٩٥.

(٣) ابن خلدون، تاريخه، ج ٣، ص ٢٦٨.

نص محاكمة الأفشين^(١):

افتتح ابن الزيات المحاكمة بدعوة رجلين عليهما ثياب رثة فقال لهما: ما شأنكما؟ فكشفا عن ظميريهما فإذا هي عارية عن اللحم. فقال ابن الزيات للأفشين:

تعرف هذين؟

قال الأفشين: نعم هذا مؤذن وهذا إمام بنياً مسجداً بأشروسنة فضربت كل واحد منهما ألف سوط. ذلك أن بيني وبين ملوك الصغد عهداً وشرطاً أن أترك كل قوم علي دينهم وما هم عليه، فوثب هذان على بيت كان فيه أصنامهم - يعني أهل أشروسنة - فأخرجوا الأصنام، واتخذاه مسجداً، فضربتهما على هذا ألفاً ألفاً لتعديهما، ومنعهما القوم من بيعتهم.

قال له محمد: ما كتاب عندك قد زينته بالذهب والجواهر والديباج فيه الكفر بالله؟

قال: هذا كتاب ورثته عن أبي، فيه أدب من آداب العجم، وما ذكرت من الكفر، فكننت أستمع منه بالأدب وأترك ما سوى ذلك، ووجدته محلي فلم تضطرني الحاجة إلى أخذ الحلية منه، فتركته على حاله، ككتاب كليله ودمنة وكتاب مزدك في منزلك، فما ظننت أن هذا يخرج من الإسلام.

ثم تقدم المؤيد فقال: إن هذا كان يأكل المخنوقة ويحملني على أكلها، ويزعم أنها أرطب لحماً من المذبوحة، وكان يقتل شاة سوداء كل يوم أربعاء يضرب وسطها بالسيف يمشي بين وسطيها، ويأكل لحمها. وقال لي يوماً:

(١) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ١٠٧-١١٠؛ ابن الأثير، الكامل في

التاريخ، ج٥، ص ٢٦١-٢٦٢.

إنني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل شيء أكرهه، حتى أكلت لهم الزيت وركبت الجمل ولبست النعل، غير أنني إلى هذه الغاية لم تسقط عني شعرة - يعني لم يطل^(١) ولم يختتن. فقال الأفسين: خبروني عن هذا الذي يتكلم بهذا الكلام ثقة هو في دينه؟ - وكان المؤيد مجوسياً ثم أسلم بعد على يد المتوكل وناداه -.

قالوا: لا.

قال: فما معني قبولكم شهادة من لا تتقون به ولا تعدلونه؟
ثم أقبل على المؤيد فقال: هل كان بين منزلي ومنزلك باب أو كوة تطلع على فيها وتعرف أخباري منها؟
قال: لا.

قال: أفليس كنت أذكك إلى، وأبئك سرى، وأخبرك بالأعجمية وميلي إليها وإلى أهلها؟
قال: نعم.

قال: فلست بالثقة في دينك، ولا بالكريم في عهدك، إذ أفشيت على سراً أسرته إليك.

ثم تتحي المؤيد وتقدم للمرزيان بن تركش. فقالوا للأفسين: هل تعرف هذا؟ قال: لا. فقيل للمرزيان: هل تعرف هذا؟ قال: نعم هذا الأفسين. فقالوا له: هذا المرزيان.

فقال له المرزيان: يا ممخرق: كم تدافع وتموه.

(١) لم يطل: لم يأخذ شعر العانة.

فقال له الأفشين: يا طويل اللحية: ما تقول؟

قال: كيف يكتب لك أهل مملكتك؟

قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدى.

قال: فقل.

قال: لا أقول.

قال: المرزبان: أليس يكتبون إليك بكذا وكذا- بالأشروسنية؟

قال: بلي.

قال: أفليس تفسيره بالعربية: إلى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان؟

قال: بلي.

قال محمد بن عبد الملك: والمسلمون يحتملون أن يقال لهم هذا؟ فما

أبقيت لفرعون حين قال لقومه: (أنا ربكم الأعلى)^(١).

قال: كانت هذه عادة القوم لأبي وجدى ولي قبل أن أدخل في الإسلام،

فكرهت أن أضع نفسي دونهم فتفسد على طاعتهم.

فقال له إسحاق بن إبراهيم بن مصعب: ويحك يا حيدر كيف تحلف لنا

بالله فنصدقك، ونصدق يمينك، ونجريك مجري المسلمين، وأنت تدعي ما

أدعي فرعون.

قال: يا أبا الحسين، هذه سورة قرأها عفيف على علي بن هشام، وأنت

تقرؤها علي، فانظر غدا من يقرؤها عليك؟

ثم قدم مازيار صاحب طبرستان، فقالوا للأفشين: تعرف هذا؟ قال: لا..

(١) سورة النازعات: ٢٤.

قالوا للمازيار: تعرف هذا؟ قال: نعم هذا الأفشين. فقالوا له: هذا المازيار.
قال: نعم قد عرفته الآن.

قالوا: هل كاتبته؟

قال: لا.

قالوا للمازيار: هل كتب إليك؟

قال: نعم. كتب أخوه خاش إلى أخي قوهيار: إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك. فأما بابك فإنه بحمقه قتل نفسه، ولقد جهدت أن أصرف عنه الموت فأبى حمقه إلا أن دلاد فيما وقع فيه. فإن خالفت لم يكن للقوم من يرمونك به غيري، ومعى الفرسان وأهل النجدة والبأس، فإن وجهت إليه لم يبق أحد يحاربنا إلا ثلاثة: العرب والمغاربة والأتراك. والعربي بمنزلة الكلب، أطح له كسرة ثم أضرب رأسه بالدبوس، وهؤلاء الذباب - يعني المغاربة - إنما هم أكلة رأس، وأولاد الشياطين - يعني الأتراك - فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم، ثم تجول الخيل عليهم جولة فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم.

فقال الأفشين: هذا يدعي على أخيه وأخي دعوى لا تجب على، ولو كنت كتبت بهذا الكتاب لأستميله إلى وثيق بناحي كان غير مستنكر، لأنني إذا نصرت الخليفة بيدي، كنت بالحيلة أخرى أن أنصره، لأخذ بقفاه، وأتي به إلى الخليفة لأحظي عنده، كما حظي به عبدالله بن طاهر عند الخليفة، ثم نحي المازيار.

ولما قال الأفشين للمرزبان التركشي ما قال، وقال لإسحاق بن إبراهيم ما قال، زجر ابن أبي دؤاد الأفشين، فقال له الأفشين: أنت يا أبا عبدالله ترفع طيلسانك بيدك فلا تضعه على عاتقك حتى تقتل به جماعة.

فقال له ابن أبي دؤاد: أمطهر أنت؟

قال: لا.

قال: فما منعك من ذلك وبه تمام الإسلام والطهور من النجاسة؟

قال: أو ليس في دين الإسلام استعمال النقية؟

قال: بلى.

قال: خفت أن أقطع ذلك العضو من جسدي فأموت.

قال: أنت تطعن بالرمح وتضرب بالسيف فلا يمنعك ذلك من أن تكون

في الحرب وتجزع من قطع قلعة؟!

قال: تلك ضرورة تعينني فأصبر عليها إذا وقعت، وهو شيء أستجلبه

فلا آمن معه خروج نفسي، ولم أعلم أن في تركها الخروج من الإسلام.

فقال ابن أبي دؤاد: قد بان لكم أمره. يا بغا- لبغا الكبير أبي موسى

التركي - عليك به ^(١).

تحليل نص المحاكمة وتعقيب عليها:

تعتبر هذه المحاكمة سياسية، إذ أنها جرت بعد غضب الخليفة المعتصم على قائده الأفشين، الذي كان من أقرب القادة إليه، ولذلك حشد له الشهود بما يكفي لإدانته، ولكننا نتساءل: ألم يكن بإمكان الخليفة قتله دون محاكمة؟ وقد حدث هذا مع بعض القادة الذين غضب عليهم الخلفاء، إلا أن الخليفة المعتصم كان يريد أن يثبت للقادة الأتراك الآخرين أنه قتله بسبب خيانتهم، ولم

(١) فاضرب بغا بيده على منطقته فجذبها، فقال: قد كنت أتوقع هذا منكم قبل اليوم. فقلب

بغا ذيل القباء على رأسه، ثم أخذ بمجامع القباء من عند عنقه، ثم أخرجه من باب

الوزيرين إلى محبسه. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٦٢.

يتجن عليه، بل إنه ترك أمر قتله لموسى بغا وهو أحد القادة الأتراك، حتى لا يتمرّد الأتراك عليه وهم أقرب قادته حينذاك والمحيطين به.

وقد بدأت المحاكمة بتوجيه الوزير -وهو يمثل الإدعاء العام- أول تهمة للأفشين، وهي ضرب إمام مسجد ومؤذن ألف سوط، حتى سقط لهما عن جسدهما، والتهمة الثانية هي احتفاظ الأفشين بكتاب فيه عبارات كفر بالله من بقايا الوثنية في بلاد أشروسنة.

والتهمة الثالثة كانت من أحد قادة الأفشين ويسمى المؤبذ، أنه كان يجبره على أكل ما حرم الله من ميتة ومخنوقة.

والتهمة الرابعة كانت تأليه أتباعه في أشروسنة له في كتاباتهم التي يبدؤونها بقولهم إلى إله الآلهة من عبده فلان بن فلان.

والتهمة الخامسة هي مكاتبته للمازيار النائر في طبرستان، وكان المازيار شاهداً للمحاكمة وأقر بذلك.

والتهمة السادسة وجهها له القاضي ابن أبي دؤاد، بأنه لم يلتزم بسنن الإسلام وفطرته، مثل حلق العانة والختان.

وقد وثقت هذه التهم بالشهود، وأنكر بعضها الأفشين، واعترف ببعضها لكن دافع عن ممارسته لها كما ورد في نص المحاكمة، إلا أن دفاعه عن نفسه لم يشفع له إزاء غضب الخليفة عليه، لأن الحكم قد صدر مسبقاً قبل بدء المحاكمة، ولا يلغيه أو يخففه إلا عفو الخليفة نفسه، وهو ما كان يدركه الأفشين جيداً، ولذلك بعد أن صدر الحكم بقتله، وتم رده إلى محبسه، حتى يتم تنفيذ الحكم، طلب الأفشين من الخليفة إن يرسل إليه من يثق به، فأرسل إليه حمدون بن إسماعيل - أحد خاصته - فأخذ الأفشين يعتذر له عما اتهم به، وقال: قل لأمر المؤمنين إنما مثلي كرجل ربي عاجلاً حتى أسمنه وكبر،

وكان له أصحاب يشتهون أن يأكلوا من لحمه، فعرضوا بذبحه فلم يجيبهم، فانفقوا جميعاً على أن قالوا: لم تربى هذا الأسد، فإنه إذا كبر رجع إلى جنسه، فقال لهم: إنما هو عجل، فقالوا هذا أسد، فسل من شئت، وتقدموا إلى جميع من يعرفونه، وقالوا لهم: إن سألكم عن العجل فقولوا له: إنه أسد، وكما سأل إنساناً قال: هو أسد، فأمر بالعجل فذبح، ولكني أنا ذلك العجل، كيف أقدر أن أكون أسد؟ الله الله في أمري^(١).

إلا أن هذا الكلام لم يؤثر في قرار الخليفة، وربما لم يكن حمدون بن إسماعيل مخلصاً في نقله إلى الخليفة، ثم أمر الخليفة بقتله وصلبه عند باب العامة، ويقال أن الخليفة أمر بقطع الطعام والشراب عنه حتى مات في شعبان سنة ٢٢٦هـ^(٢).

وقد أثرت هذه المحاكمة وموقف الأفيشين في نفس الخليفة تأثير كبيراً، وظهر ذلك في حديثه قبيل وفاته مع إسحاق بن إبراهيم والي بغداد حين قال له: يا إسحاق في قلبي أمر أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة، وإنما في هذا الوقت إليك، فقلت: قل يا أمير المؤمنين، قال: نظرت إلى أخي المأمون، وقد أصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم، قلت: ومن الذين اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين^(٣)، فقد رأيت وسمعت،

(١) البيهقي: إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، تحقيق عدنان علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٨٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١٠٧؛ ابن خلدون، تاريخه، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٣) طاهر بن الحسين أحد قواد المأمون الثقة، ولاء المأمون حكم خراسان سنة ٢٠٥هـ، واتخذ نيسابور قاعدة له، وتوفي سنة ٢٠٧هـ، ابن الأثير ج ٥، ص ١٩٦-١٩٧.

وعبدالله بن طاهر، فهو الرجل الذي لم ير مثله، وأنت^(١)، فأنت والله لا يعتاض السلطان عنك أبدًا، وأخوك محمد بن إبراهيم^(٢)، وأين مثل محمد؟ وأنا اصطنعت الأفشين فقد رأيت إلى ما صار أمره، وأشناس ففشل، وإيتاخ فلا شيء، ووصيف فلا معني فيه، فقلت: يا أمير المؤمنين، جعلني الله فداك، أجيّب على أمان من غضبك، قال: قل، قلت: يا أمير المؤمنين أعزك الله، نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها، فأنجبت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فروعًا لم تتجب إذ لا أصول لها، قال: يا إسحاق لمقاساة ما مربّي في طول هذه المدة أسهل على من هذا الجواب^(٣).

ويبدو أن محاكمة الأفشين أضاعت الطريق أمام الخليفة، وأظهرت له ما كان يضمّره بعض الخونة للإسلام والمسلمين، وكيف كانوا يتحينون الفرصة للثورة. وما ثورة بابك الخرمي والمقنع الخراساني وخيانة الأفشين إلا دليل واضح على ذلك^(٤).

كما بينت خيانة الأفشين ومحاكمته ما يتمتع به من صفات فهو يتمتع بالفروسية والشجاعة والإقدام وقوة البأس وقد وضع ذلك من خلال قيادته

(١) إسحاق بن إبراهيم كان صاحب شرطة بغداد منذ عصر المأمون، حتى توفي سنة ٢٣٥هـ في عصر الخليفة المتوكل على الله، ابن كثير، البداية والنهاية ج ١٠، ص ٣١٤.

(٢) محمد بن إبراهيم أخو إسحاق كان من كبار الأمراء والقادة منذ عصر المأمون، حتى توفي سنة ٢٣٦هـ في عصر المتوكل على الله، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢٨٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ١٢٢.

(٤) عبد العزيز اللملم: نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، ج ١، ص ٣٢٥.

لجيش الخلافة إلا أنه اعتقد صفة السياسة والكياسة والذكاء وحسن التصرف والتدبير ذلك أنه اعتقد أنه بخيانتة وتعاونة مع أعداء الخلافة سيصل إلى ما يصبوا إليه من أطماع، ولم يقدر مدى ما يتمتع به الخليفة المعتصم من ذكاء وسياسة وحب للإسلام والمسلمين والدفاع عن الخلافة وأهلها كما أن الأفشين لم يأخذ العظة والعبرة مما حدث لبابك الخرمي والمقنع الخرساني والمازبار بن قارن وغيرهم ممن حاولوا الخروج على الخلافة والتعدي على مكتسباتها السياسية والعسكرية فكان مصيرهم القتل كما أنه لم يتعظ من مؤامرة العباس بن المأمون ابن أخ الخليفة الذي حاول القيام بمؤامرة ضد الخليفة وقادته فكان مصيره القتل وعلى يد الأفشين نفسه.

فقد استهان الأفشين بسياسة وقدرة المعتصم واعتقد أنه بإمكانه خيانتة والخروج عليه دون أن يكشف أمره فغفل عن فراسته وسطوته وضربه بيد من حديد كل من تسول له نفسه اللعب بمقدرات الدولة العباسية ومكتسباتها مهما كان ذلك الشخص.

كما دلت محاكمة الأفشين وقتله على أن هدف المعتصم من جلب الأتراك والإكثار منهم هو خدمة الدولة العباسية والاستفادة مما يتمتعون به من شجاعة وإقدام وفروسية، فمحاكمة الأفش تدل دلالة قاطعة على أن المعتصم لم يحاب الأتراك على حساب غيرهم من الفرس والعرب إنما كان يهدف من ذلك خدمة الدولة الإسلامية وتحقيق التوازن بين العرب والفرس، فعندما خدم الأفشين الدولة كرمه المعتصم ورفع شأنه وقلده الذهب ووشحه بالتاج، وعندما شعر منه بالخيانة والمؤامرة على الخليفة والدولة عمل على سجنه ثم محاكمته وقتله.

أما ما قاله أحد المؤرخين المستشرقين^(١) من أن محاكمة المعتصم للأفشين كانت بسبب حسد المعتصم له لما حققه من انتصارات على كل من بابك الخرمي والبيزنطيين فهذا الرأي مردود عليه، ذلك لأن ما حققه الأفشين من انتصارات كانت بفضل سياسة المعتصم وتدبيره، فهو الذي اختار القائد الذي توجه لحرب بابك الخرمي وزوده بالمال^(٢) والرجال حتى تحقق له النصر فهذا النصر حققته الدولة بجهود قادتها وأبنائها وأموالها^(٣) فيعود للدولة وليس للقائد فحسب.

أما الانتصار في عمورية فهو لا يعود للأفشين وحده إنما لعدد من القادة فقد كان المعتصم نفسه قائداً لهذه المعركة ومهندساً لفتحها فهو الذي وضع الخطة العسكرية ووجه القادة واستفاد من الادلاء^(٤)، وبذل الأموال.

• الخاتمة:

الآن وقد أنهيت هذا البحث، فإنه ينبغي أن أعرض لأهم النتائج التي أمكن الوصول إليها:

١- أوضحت هذه الدراسة أسباب استئثار المعتصم للأتراك، وما بلغه الأتراك من مكانة عالية، حتى أنه عمل على بناء مدينة خاصة بهم بعد أن غصت بهم بغداد وضاق عليهم، واشتكى الأهالي منهم ومن سوء معاملتهم لهم.

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه أمين فارس، لبنان، بيروت، ط٤، ١٩٦٥م، ص ٢١٠.

(٢) انظر الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ١٣-١٧، ٢٣-٢٧.

(٣) انظر عبد العزيز اللميلم، نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية، ج١، ٣٢٠-٣٢١.

(٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٩، ص ٥٧-٧١.

٢- بينت هذه الدراسة أن رغبة المعتصم في تحقيق التوازن بين العرب والفرس هي من أهم أسباب استكثاره لهم خاصة بعد أن فقد ثقته بالفرس لقتلهم أخاه المأمون، وثقته بالعرب لمشاركته ابن أخيه في مؤامراته ضد عمه.

٣- تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن المعتصم ليس هو أول من استقدم الأتراك واستخدمهم في الدولة إنما سبقه إلى ذلك خلفاء الدولة الأموية ثم المنصور العباسي وغيره من خلفاء الدولة العباسيين حتى زاد المأمون من استقدامهم والاعتماد عليهم بعض الشيء فاستقدم الأتراك سنة لم يسنها المعتصم ويعمل بها إنما سبقه إليها غيره من خلفاء الدولة الإسلامية. ولكن المعتصم استكثر منهم وزاد في الاعتماد عليهم حتى أصبحوا سنده وقادة جيشه.

٤- أوضحت هذه الدراسة مدى اعتماد المعتصم على قائده الأفسنين وتقديره له، ومكافأته له عن كل عمل يقوم به فقد منحه تاجًا وسيفين، ووصله بعشرة ملايين درهم، وولاه على السند، إضافة إلى أذربيجان وأرمينية بعد انتصاره على بابك الخرمي.

كما رفع شأنه ومنحه شرف قيادة أحد الجيوش التي توجهت لفتح عمورية، ليس هذا فحسب بل أنه وثق به ثقة كاملة عندما سلمه ابن أخيه العباس بن المأمون عندما اكتشف مؤامراته.

٥- بينت هذه الدراسة أن الأفسنين ذلك القائد التركي الذي وصل إلى أعلى مكانه في خلافة المعتصم، لم يقدر ثقة المعتصم به واعتماده عليه إنما أثار فيه ذلك نعرته الأعجمية، فرأى أنه ليس بأقل من بابك الخرمي

والمازيارين قارن، فخان المعتصم وحرص أعداءه عليه، كما حاول قتله وقادته عندما كشف أمر خيانتهم.

٦- أوضحت الدراسة أن المعتصم الذي اعتمد على الأتراك حتى أصبحوا سنده في حكمه لم يكن مكتوف الأيدي أمام خيانتهم ومؤامراتهم على الدولة بل ضرب بيد من حديد كل من يحاول العبث في مقدرات الدولة ومكتسباتها، فوقف سداً منيعاً أمام طموحهم ومؤامراتهم ضد الدولة.

٧- أضاعت محكمة الأفشين الطريق أمام المعتصم، وأظهرت ما كان يضره بعض القادة الأتراك للخلافة العباسية من حقد ومؤامرة للإسلام والمسلمين ومحاولاتهم الثورة على الدولة كلما أتحت لهم الفرصة.

٨- أوضحت الدراسة أن هدف المعتصم من عقد محاكمة للأفشين هو معرفة صحة ما نسب إليه من تهمة، والرغبة بعدم ظلمه ومحاكمته محاكمة عادلة. كما هدف من ذلك تأديب الأتراك، والتأكيد عليهم بأن مصيرهم مثل ذلك إذا سولت لهم أنفسهم الخروج على طاعة الخليفة.

فعلى الرغم مما كان يكنه المعتصم للأتراك من حب وتقدير وخاصة قائده الأفشين إلا أنه لم يتوان عن تأديبه والوقف في وجهه ومحاكمته وسجنه ثم قتله.

• المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

- الآبي: ابوسعيد منصور بن حسين (ت: ٤٢١هـ)
- ١- نثر الدر في المحاضرات، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٣٢٤هـ / ٢٠٠٤م.
- ابن الاثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ)
- ٢- الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- الأزدي: أبوبكر يزيد بن محمد بن أياس (ت: ٣٣٤هـ)
- ٣- تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- الأصطخري: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي. (ت: ٣٥٠هـ)
- ٤- المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، الجمهورية العربية المتحدة، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- ابن أعثم: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت: ٣١٤هـ)
- ٥- الفتوح، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي (ت: ٢٧٩هـ).
- ٦- فتوح البلدان، تعليق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- البیهقي: إبراهيم بن محمد (ت: هـ)

٧- المحاسن والمساوي، تحقيق عدنان علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت: ٤٢٩ هـ)

٨- لطائف المعارف، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت: ٢٥٥ هـ)

٩- رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت: ٣٣١ هـ)

١٠- كتاب الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وآخرون.

ابن حزم الأندلسي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت: ٤٥٦ هـ)

١١- نطق العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨ هـ)

١٢- تاريخ ابن خلدون، المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (د.ن) ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١ هـ)

١٣- وفیات الأعیان وأنباء أبناء الزمان، تحقیق إحسان عباس، دار الثقافة، بیروت.

خليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة العصفري (ت: ٢٤٠هـ)

١٤- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
الدينوري: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: ٢٨٢هـ).

١٥- الأخبار الطوال، تحقيق عصام محمد الحجاج علي، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
الطبري: محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ)

١٦- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

قدامة بن جعفر : قأبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ)

١٧- الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسنين الزبيدي، دار الرشيد، العراق، الطبعة الأولى (د.ت).

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت : ٢٦٧هـ)

١٨- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية (د.ت)

ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)

١٩- البداية والنهاية، دار المعارف، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

الكندي: أبو عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب (ت: ٣٥٠هـ)

٢٠- ولاية مصر، تحقيق رفرن كست، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى (د.ت)

المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ)

٢١- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية، (د.ت).

٢٢- التنبيه والإشراف، المكتبة التجارية، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.

٢٣- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: ٤٢١هـ)

٢٤- تجارب الأمم، (د.ت).

المقدسي: المطر بن طاهر (ت: ٣٥٥هـ)

٢٥- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).

الهمداني: أبو بكر أحمد بن محمد بن الفقيه (ت: ٢٩٠هـ)

٢٦- مختصر كتاب البلدان، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

الهمداني: أبو الفضل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم (ت: ٥٢١هـ)

٢٧- تكملة تاريخ الطبري، تحقيق ألبرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٨م.

وكيع : محمد بن خلف بن حيان (ت: ٣٠٦هـ)

٢٨- أخبار القضاة، الطبعة الأولى، ١٣٦٩هـ.

ياقوت الحموي: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ)

٢٩- معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

اليقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت: ٢٨٤هـ)

٣٠- البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٣١- تاريخ اليقوبي، دار صادر، بيروت، (د. ت).

ثانياً: المراجع:

حسن إبراهيم حسن، أحمد إبراهيم الشريف

٣٢- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، الطبعة الخامسة (د. ت).

حسن أحمد محمود

٣٣- الإسلام والحضارة في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ت).

عبد العزيز محمد الميلم

٣٤- نفوذ الأتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء (د.ت)
١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

فاروق عمر

٣٥- الخلافة العباسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد،
(د. ت).

ثالثاً: المراجع العربية:

كارل بروكلمان.

٣٦- تاريخ الشعوب الإسلامية، تعريب نبيه أمين فارس، لبنان، بيروت،
الطبعة الرابعة، ١٩٦٥م.

